مجلة كلية
الدعوة الإسلامية
مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة

العدد
الخامس عشر
1998

1428 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1998 أفرنجي

نظرة عامة في حياة الشيخ عمر الجنزوري

فَرَج ونيس السّاعدي الصّيد

لا جرم أن تاريخ البلاد الليبيّة طافحٌ بالعلماء الأفاضل الذين كان لهم نصيب موفور في ازدهار الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية، ومحاربة الأميّة الثقافية، كلٌّ على قدر استعداده، وكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلق له.

ومن بين هذه الرموز المضيئة الشيخ عمر العربيّ الجنزوري الذي ركض في ميدان العلم متعلّماً ومعلّماً، فكان مجلّى في الحلبتين، ومثالاً يُحتَذى في المرحلتين.

لذلك رأيت من الواجب إلقاء نظرة عامة على حياته الحافلة التي تُمثّل واسطة عِقْد المسيرة العلمية ببلادنا. فهو عمر بن العربي بن عمر بن علي بن رمضان بن صالح بن رمضان نسبة إلى الرماضنة المنحدرين من رمضان الأخير،

وأصلهم من قبيلة أولاد أَبي الهول بالزنتان إحدى قبائل الجبل.

كان يردّد هذا النسب كثيراً في جلساته الخاصّة؛ ولذلك علق بذهني.

ولد ـ رحمه الله ـ بجنزور في قرية الوليّ الصالح سيدي أَبي رحاب عام 1331 ـ 1911ف حسب قوله، وأصيب في صغره بالجُدَرِي؛ فكُفَّ بصره، كما أصيب بكسر في رجله. ترعرع في كنف والديه، وانتقلت أسرته بسبب الحرب فترة قصيرة إلى العزيزية وغريان، وكانت أسرته حينئذ تعيش في خضخاض من الفقر وعدم الاستقرار، مثلها كمثل غيرها من الأسر الليبية التي ذاقت لباس الجوع والخوف إبّان الغزو الإيطالي الغاشم.

ابتدأ حياته العلمية بحفظ القرآن في جامع سيدي أَبي رحاب على المُقْرىء سالم العُوَيِّب، ثم انتقل إلى زاوية عمورة التي أُسّست عام 1164 ـ 1751ف، حيث أخذ مبادىءَ النحو والفقه والميراث على الشيخ الطاهر بن إبراهيم الكميشي، والشيخ محمّد بن إبراهيم الهنقاري، وغيرهما من أعضاءِ هيئة التدريس بهذه المنارة العتيقة.

وفي عام 1933 أَو 1934ف التحق بكلية أَحمد باشا بطرابلس. فتلقى علوم الشريعة وسائل ومقاصد عن ثلّة من الشيوخ مثل: علي النجّار العلامة الضليع في المعقول، ومصطفى الغدامسي، وعلي الغرياني الرجل الصالح، وأَحمد الإزمرلي، وعثمان القاجيجي، ومختار الشكشوكي، وأَبي بكر بن لطيّف، وأَحمد البكباك، والعلامة الزاهد عبد السَّلام بن أَبي القاسم الزنتاني، وإسماعيل بيزان، ومحمّد المصراتي، وأَحمد الكراثي، وشيخنا محمود بن عمر المسلاتي، وحضر دروس العلامة الأديب إبراهيم باكير بمدرسة عثمان باشا التي أُنشئت عام 1064 ـ 1654ف، ودرساً واحداً للشيخ عبد الرحمن البوصيري بجامع شايب العين، ولم تكن له رحلة في طلب العلم.

وبعد أن امتلأ من العلم وطابه انخرط في سلك الوعظ والتدريس؛ فألقى دروساً جمة مفيدة بجامع الريفي والخروبة والناقة ودرغوث، وواظب على إلقاء الدروس في التفسير والحديث والفقه والميراث والنحو بمدرسة عثمان باشا، وتولى التدريس بكلية أَحمد باشا، ثم بالمعهد الديني في الظهرة.

وكانت له عناية بالطلاّب المبتدئين، يقوّم ألسنتهم، وينقيها من أوضار اللحن، ويحثّهم على حفظ المتون كالألفية والرحبية والجوهرة والمرشد المعين، مردّداً العبارة المشهورة (من أراد الفنون فعليه بالمتون).

فهو بذلك يرى مخالفة العلاّمة ابن خلدون الذي تبرّم من هذه الطريقة ووصفها بالعقم، وكان ميّالاً إلى الرواية والنقل، متجافياً عن التحقيق والتمحيص، ويفتي على مذهب الإمام مالك مؤثراً التسهيل نابذاً التزمّت والتنطّع.

وعلى الرغم من عنايته الفائقة بتلاميذه فقد كان ملاذاً للعوامّ، يخفض لهم جناحه، ويفتيهم فيما يحدث لهم من نوازل، حتى كادوا يستأثرون بأوقاته.

أمّا تلاميذه فلا يُحْصَوْن عدداً؛ لأنه سبح في غمار التدريس والوعظ والإرشاد سبحاً طويلاً.

ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب

وقد حظي كاتب هذه السطور بصحبة المترجم، ولازمه ملازمة الظلّ للشاخص؛ حيث درس عليه بالمعهد الديني، وحضر دروسه بمدرسة عثمان باشا وجامع درغوث، وسرد عليه كتباً كثيرة في التفسير والحديث والفقه واللغة والأدب. وأمّا السياسة فلم يسلك أزقتها، ولم يخض لججها، بيْد أنّه كان يتوجّع ويتفجّع من أعمال الاستعمار، وما تركه من رواسب ثقافية، مثل العمل على دفن اللغة العربية التي هي حياة الأمة وروح ثقافتها، ويتألّم للقضية الفلسطينية، وما تعانيه أمتنا المجيدة من تصدّع جعلها فريسة يتناهشها الأعداء من كل جانب.

ولم يكن له اهتمام بقرض الشعر، بل كانت قريحته تجيش بالبيت والبيتين وما يقرب من ذلك متوخّياً طريقة الفقهاءِ على الرغم من كثرة محفوظه.

وقبل وفاته ببضع سنين أصيب ـ رحمه الله ـ بمرض القلب الذي أجبره على دخول المستشفى مرات عديدة، وفي صباح يوم الأربعاء الخامس عشر من يناير سنة 1986ف توفي بالمستشفى المركزيّ في طرابلس، ودفن يوم الخميس

السادس عشر بعد صلاة العصر بمقبرة الزغواني بجنزور تلبية لرغبة والدته، وصلّى عليه الحافظ لكتاب الله الشيخ رمضان مهلهل تنفيذاً لوصيته. فآب مصلّوه وهم لفراقه محزونون، وبلسان حالهم يردّدون:

ثـلّـم أصـاب الـديـن فـي بـنـيـانـه ما إنْ يُـسَـدُّ إلـى انـقـضـاءِ زمـانـه

ولا يسعني في خاتمة المطاف إلاّ أن نستدر على روحه الطاهرة وابل الرحمة والغفران، راجياً من الله أن يتولى عنّي جزاءَه بالحُسْنى.